الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم:
القيم الإنسانية العامة نموّذجاً

أ.د. مجاهد مصطفى بهجت
د. أشرف محمد زيدان
أكاديمية الدراسات الإسلامية
جامعة ملايا- ماليزيا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

القيم الإنسانية المشتركة بتفسيرها المنضبط شكّلت منذ أقدم العصور نقاط التقاء الأمم والشعوب، ودافعاً رئيساً لتعايشها سلمياً وربما تعاونها وتحالفها لصناعة حياة أفضل للمجتمع الإنساني، ولقد حدّد القرآن الكريم ووجّه هذه القيم ضمن منظومته الربانية المتكاملة ليصنع لنا نظاماً حضارياً كاملاً يرقى بالجنس البشري إلى أعلى صور التحضر والمحدد بمسارات ومعايير دقيقتين توازن بين التطور المطرد والحفاظ على تفسيرات سليمة تمثل ثوابت الحضارة الربانية التي تضمن له عيشاً كريماً وتطوراً إيجابياً لا يخرج بها عن معاني الفضيلة وغاية خلق الإنسان ووجوده على هذه الأرض.

يستوجب موضوع الإعجاز الحضاري وخصوصاً فيما يتعلق بجانب القيم الإنسانية العامّة التي حدّد القرآن الكريم تفسيراتها ومعانيها الكثير من البحث والعناية لاستخراج المزيد من الحقائق الكامنة وراء تلك المعاني مما يلاءم عصرنا الحاضر سعياً لإعادة إحياء الحضارة الإسلامية التي تراجعت مكانتها بسبب تقاعس أبنائها عن واجب تفعيل معاني القيم الإنسانية عن طريق إسقاطها على واقع الناس بعبارات تلاءم أزمنتهم وأمكنتهم على اختلافها.

وكما تقدم في الملخص فقد جاء هذا البحث ضمن محور (أثر الفهم السليم للقرآن والسنة في تطور علوم العصر وحلِّ مشاكله) وتحديداً تحت جزئية (أثره في إبراز القيم الإنسانية العامة والتعايش الثقافي والحضاري) لمحاولة معالجة إشكالية فهم التفسير الرباني للقيم الإنسانية العامّة، وما أحاط بها من لبس وغموض عند البعض، مع بيان وجوه الإعجاز في تلك القيم من ناحية وبيان الإعجاز في مجال تنظيم وتنسيق تلك القيم وتفعيلها وبرمجتها ضمن نظام كامل يكفل للإنسانية الأمن والسلام في حال تمسكها بمضامينه وأهدافه ومحافظتها على تفسير معاني تلك القيم سليمة خالية من الشوائب والانحراف.

وقعت هذه الدراسة في مبحثين كان الأول منهما بعنوان: الإعجاز القرآني في تفسير القيم الإنسانية، والمبحث الثاني والأخير بعنوان: أثر القيم الإنسانية المشتركة في بسط الأمن والسلم الدوليين.

ثم الخاتمة والتوصيات وأخيراً قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: القيم الإنسانية المشتركة وخصوصية الإعجاز القرآني في تفسيرها

أولا: القيم الإنسانية المشتركة

"القِيَمُ جمعُ قِيمَةٍ... وهي من التقويم لا التقييم، يقال: "قَوَّمَ السلعة واستقامها قدَّرها، وفي حديث عبد الله بن عباس إذا استقمت بنقد فبعت بنقد فلا بأس به وإذا استقمت بنقد؛ فبعته بنسيئة فلا خير فيه فهو مكروه، قال أبو عبيد قوله إذا استقمت يعني قومت.. والاستقامة التقويم لقول أهل مكة استقمت المتاع أي: قوَّمته، وفي الحديث: قالوا يا رسول الله لو قوَّمت لنا، فقال الله.. هو المقوّم أي: لو سعَّرت لنا وهو من قيمة الشيء أي: حددت لنا قيمتها، ويقال قامت بفلان دابته إذا كلت وأعيت فلم تسر.. ويقال قام ميزان النهار فهو قائم أي: اعتدل.. والقائم بالدين المستمسك به الثابت عليه". لذا فقد مثلت القيم عنصراً طبيعياً من عناصر تكوين المجتمعات والأمم بوصف التقويم؛ أي: منح الأشياء والأفكار قيمتها فطرة إنسانية تتبع فطرة التفاضل والتباين، وهذا هو سرُ وجود قيم إنسانية مشتركة بغض النظر عن إشكالية تباين تفسير هذه القيم.

اشتمل الإسلام على منظومة قيمية ثابتة وقد دلل قوله تعالى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[1] "دينا قيما: ثابتاً لا تنسخه الملل والنحل"[2]، فالثبات في قيمة الدين أو ما يعرف اليوم بالمنظومة القيمية هي صفة أساس لهذه القيم، وللقيم في الحضارة الإسلامية ترتيب وأولويات، وليست القيم معاني منثورة تُقدم وتُؤخر بلا حدود وضوابط، ولا يمكن كذلك الإضافة والحذف من هذه القيم بحسب حاجة المرء وهواه، وتكاد تكون وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة والتقسيم، وقد أشار القرآن لذلك في قوله تعالى: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }3، "أي: جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض"4.

لذلك فإن منظومة القيم في القرآن تمثّلُ وجهاً من أوجه الإعجاز الحضاري المتجدد بتجدد الأزمنة والأمكنة حيث لم يخرج تفسير هذه القيم ولا ترتيبها عن حدود تعبير منظومة القيم "أنها ليست قيماً متناثرة.. بل هي

---

[1] سورة الأنعام الآية161.

[2] الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق : على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ 73/8.

[3] سورة الحجر الآية 91.

[4] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ت 774هـ، مكتبة زهران، مصر، ط1، د.ت 559/2.

متعانقة تعانق الأمواج في المحيط الهادئ.. يمتزج بعضها ببعض ويتشابك اللاحق منها بالسابق في تتابع وانسجام حتى تكون في النهاية هيكلا ضخماً لأروع حضارة عرفها الإنسان"[5]. وهذا هو مكمن الإعجاز فيها.

وقد ذكر بعض الدارسين هذه القيم الإنسانية المشتركة في العقيدة والعلم والعمل، والجهاد والعبادة والحرية، وبين مفاهيمها وتفسيراتها وما يُرادُ من دلالاتها الظاهرة ومعانيها التفصيلية، ويستفاد من ذلك لتحديد أبرز القيم الإنسانية المشتركة فهي على الترتيب من حيث الأهمية: الاعتقاد والحرية والعدل والسلام والعلم والعمل[6].

وهذه الدراسة المفصلة لهذه القيم على النحو الآتي:

1- **الاعتقاد،** يعبر عنه البعض أحياناً بالإيمان ويتصف به كل إنسان عاقل بالغ، فحتى منكري فكرة الإله هم يعتقدون بالمحصلة اعتقاداً محدداً يتمثل بإنكار وجود إلهٍ يستوجب العبادة أو نبي يستحق الاتباع.

قال تعالى: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ... الآية}[7]، "الولي فعيل بمعنى فاعل قال الخطابي: الولي الناصر ينصر عباده.. ومن كفر بعد وجود النبي صلى الله عليه وسلم الداعي المرسل، فشيطانه مغويه كأنه أخرجه من الإيمان إذ هو معه معد وأهل للدخول فيه، وحكم عليهم بالدخول في النار لكفرهم عدلا منه لا يسأل عما يفعل وقرأ الحسن: أولياؤهم الطاغيت يعني الشياطين والله أعلم"[8]، فهو تقرير واضح بأنه لابد للإنسان مهما كان حاله الإيماني ووضعه العقدي؛ من ولي يتبعه علم أم لم يعلم.

2- **الحرية،** وهي الحق الأول والأساس من حقوق الإنسان، وهي حرية العبودية لله وحده وترك عبادة ما سواه، ولها تفسيران رئيسان أولهما: الحرية المطلقة وهو تفسير يرفضه حتى الخيال السليم ولا يرتضيه العقل المبصر ولا الفكر المتزن، لأنه تفسير يفتقر إلى الواقع، فهو نموذج مفقود لم تعرفه الإنسانية يوماً، ولم يذكر الماضي والحاضر له شاهداً حياً واحداً، فهو ليس سوى كلمات يكتبها أصحاب هذا التفسير وهم أول من يكفر بها عندما يمتلكون زمام الحكم في هذا البلد أو تلك الأمة، أما التفسير الثاني فهو الذي يوطئ لنا فهمه

[5] سبع، توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم، عالم صنعةُ القرآن، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2 د.ت. 151/2.

[6] راجع قيم حضارية في القرآن الكريم 154/2، 155، 164، 167، 172، 179.

[7] سورة البقرة 257 الآية.

[8] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت671هـ، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1387هـ - 1967م، 283/3.

كتاب الله تعالى بقوله: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[9] "أعبادة أرباب شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر خير أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه الذي قهر كل شيء فذل لله وسخره فأطاعه طوعا وكرها"[10]، إن القرآن هنا يتحدث عن سُنة كونية صمم هذا الكون الهائل وفقاً لها، فالحرية التي يقررها هي حرية التوحيد وإخراج الناس من عبادة بعضهم البعض وعبادة المصارف الربوية الشركات متعددة الجنسيات والحكومات والطغاة وزعماء العصابات الدولية إلى عبادة الله الواحد الأحد، وقد أباح الله تعالى كل ما لا يضر بالإنسان وجعل الإسلام الإباحة أصلاً، على قاعدة أن "الأصل في الأشياء الإباحة حتى يثبت دليل على خلاف ذلك"[11]، ويؤكد ذلك قوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[12]، وزينة الله "هي كل ما يتجمل به وكل ما ترغب به النفس من غير تجاوزٍ لحدٍ من حدود الله[13]، ولقد بلغ مفهوم الحرية في فكر هذه الأمة، أن رأت في الخروج من الدنيا – وهي في سلامة من أمر دينها– بعد أن حققت مقصود الله تعالى من خلق الإنسان واستخلافه على الأرض، تحرراً حقيقية من قيود الجسد وقيود هذا العالم المادّي المليء بالإشكاليات والأخطار والمتاعب. وترتبط قيمة الحرية بالحياة ذاتها فقد أوجبها تعالى بقوله: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً...}[14] "والمقصود تهويل أمر القتل وتفخيم شأن الإحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في إيجاب الرهبة والرغبة"[15]، "وحسبك أن

[9] سورة يوسف الآية 39.

[10] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير 310 هـ تفسير **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاه – خلفاء، القاهرة، ط3، 1388هـ 1968م، 219/12.

[11] زيدان، د.عبد الكريم، الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق – سورية / بيروت – لبنان، ط1، 1427هـ - 2006م ص181.

[12] سورة الأعراف الآية 32.

[13] روح المعاني 130/8.

[14] سورة المائدة الآية 32.

[15] أبو السعود، محمد بن العمادي، تفسير أبي السعود المسمى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1414هـ - 1994م، 30/3.

تلاحظ كيف أن البيان الإلهي جعل السعي إلى إنقاذ حياة إنسانية من عوادي الموت والردى، في ميزان الله عَزَّ وجَلَّ، بمثابة إحياء الناس جميعاً"[16]، من غير أدنى إشارة إلى عَقيدةِ صاحب هذه النفس وعِرقِهِ ولَونِهِ.

3- **العدل**: قيمة سامية من القيم الإنسانية ضمنت للمجتمعات البشرية السلام كلما التزمت بالتفسير الصحيح لها، وقد ارتبط هذا التفسير بالإيمان بالله، فلم تشهد الإنسانية تفسيراً وفهماً وتطبيقا صحيحاً لهذه القيم كما شهدته في الحضارة الإسلامية، وقد تحدث القرآن عن عدالة الله تعالى وعن فضل العدل والعادل من الناس في إحدى وعشرين آية[17]، ويكفي القول بأن العدل في الإسلام فريضة وليس أمراً محموداً فحسب، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[18]، على أن تدقيق النظر في مفهوم العدل في القرآن يجده لا يمثل قيمة من القيم الإنسانية العامّة فحسب بل سيجد أن أهميته وضرورته لحياة إنسانية مطمئنة ومستقرة قد أحكم بشكل تام مما يعد مكمناً آخر من مكامن الإعجاز القرآني في مجال القيم الحضارية، لقد تحدث الآخر عن فهم الأمة المسلمة لهذه القيمة واعترف المنصف من الناس – من غير المسلمين– بأن منهج العدل هو حقيقة واقعية في شخصية هذه الأمة أيام مجدها وعزّها وهي تقود ركب الأمم وتنصف الآخر من موقع قوة واقتدار، "فالمسيحيون والزرادشتية واليهود، الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة التعصب الديني وأفضعها، سمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى أوَ ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ، وبعد فضائع الأسبان واضطهادات اليهود..؟، "إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف"[19]. إنها مجرد لمحة عابرة عن منهج دائم

---

[16] البوطي، د. محمد سعيد رمضان، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر سورية ط1، 1998م، ط7، 1426هـ - 2005م، ص63.

[17] ابتدأت حسب ترتيب المصحف من الآية 282 من سورة البقرة وحتى الآية 2 من سورة الطلاق.

[18] سورة النحل الآية90

[19] هونكة، زيغريد، شمس العرب* تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل بيروت، دار الآمال الجديد بيروت، ط8، 1413هـ - 1993م، ص364.

* والاسم الصحيح للكتاب (شمس الله تسطع على الغرب) وكلمة (الله) موجودة على النسخة الألمانية بوضوح ويبدو أنَّ النزوع القومي كان غالباً على المترجم، أو ربما كانت الأجواء يومها في العالم العربي قد اضطرته إلى هذا التحوير لكي تُمرر ترجمته أو تلتفت لها مؤسسة رسمية، وإلاّ فإن لفظ الجلالة كان مكتوباً في النسخة الألمانية بنطقه العربي الصريح بالحرف اللاتيني، كتاب ''شمس الله تشرق على الغرب''، وهو أشهر كتاب غربي وضعه مستشرق معاصر ينتصر للحضارة الإسلامية وعطائها التاريخي وقيمها وعباداتها ولغتها ومنظومتها التشريعية والثقافية الضابطة لحياة

وفكر ناجم عن اعتقاد واضح يدعم هذه القيمة ويبين أثرها في بناء الحضارة الربانية التي تتخذ من العدل وسيلة للإقرار بحقوق الإنسان مهما كان اعتقاده وعرقه ولونه.

4- **السلام**: السلام هو اسم من أسماء الله {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ... }[20]، والسلام هو هدف الإسلام، وهو الضمانة الأكيدة لحياة كريمة تزدهر في ظله أعظم الحضارات وتنمو في ربوعه معاني الإنسانية الحقّة وتعلو تحت سلطانه صروح الوشائج الإنسانية في أجلى صورها، قال تعالى: {فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى}[21]، "قال الزجّاج أي: من اتبع الهدى سَلِم من سخط الله عزَّ وجلَّ وعذابه قال: وليس بتحية؛ والدليل على ذلك أنه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب"[22]، فالسلام قيمة من القيم الإنسانية المشتركة وهو وفق تعريف القرآن الكريم ضرورة من ضرورات الفوز بمغانم الدنيا والآخرة، وهو أصل في علاقة الأمة المسلمة بسواها من الأمم والشعوب بدلالة قوله تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[23] "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب إما بالدخول في الإسلام وإما بإعطاء الجزية وإما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السِلم والصلح فاجنح لها، يقول فمل إليها وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه"[24]، "وإن جنحوا أي مالوا وانقادوا لِلسَلمِ.. أي الصُلح والاستسلام، وبوقوع الرهبة في قلوبهم، بمشاهدة ما بكم من الاستعداد، وإعداد العتاد: {فاجنح لها} أي: فمل إلى موقفهم وصالحهم وعاهدهم، وإن قدرت على محاربتهم، لأن الموافقة أدعى لهم إلى الإيمان"[25]، وفي هذا دلالة واضحة على أن الأصل في نظرة حضارة القرآن للآخر هو السِلم، لكون الدعوة إلى دين التوحيد هي الغاية وإحياء الناس حياة طيبة كريمة في ظلال هذه الحضارة السامية هي المقصِد وليست الغاية إزهاق أرواحهم وامتهان كرامتهم لبسط السيطرة وتوسيع النفوذ.

مجتمع متحضر، وهي الحضارة التي علّمت العالم كله كيف يكون التحضّر، ولقد تُرجم هذا الكتاب الفذ إلى أكثر من سبع عشرة لغة –بما فيها العربية بالطبع– ووُزّع منه أكثر من مليون نسخة. http://www.rclub.ws/?p=758

[20] سورة الحشر الآية 23.

[21] سورة طه الآية 47.

[22] تفسير القرطبي 203/11.

[23] سورة الأنفال الآية61.

[24] تفسير الطبري 10/ 33.

[25] القاسمي، محمد جمال الدين، **تفسير القاسمي، المُسمى، محاسن التأويل**، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرّج آياته وأحاديثه، وعلق عليه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1376هـ - 1957م، 3027/8.

5- **العلم**: العلم في اللغة مصدر يرادف الفهم والمعرفة، ويرادف الجزم أيضاً..."[26]، ومكانة الأفراد والجماعات ترتبط بمقدار ما يمتلكوه من علوم نافعة للبشرية أجمع، وثمار العلم لا تظهر إلا حيث يوجد العدل والسلام، ذلك أن الحروب وعدم الاستقرار تؤثر سلباً على العلم بجميع أنواعه وفروعه، وأقل ما تجلبه التوترات والحروب على العلم أنها تسخره لخدمة أهداف القائمين عليها، ولم يحتكر أصحاب حضارة القرآن الصناعات والعلوم والاختراعات، ولم يستغلوا الثروات المعادن لإيذاء الأمم الأخرى.

وكانت حواضر البلاد المسلمة تعج بالمتعلمين والتجّار والصنّاع من شتّى بقاع الأرض ومللها ونحلها، حيث كانت بلاد الإسلام مراكز لكبرى جامعات العلم ومواطن المعرفة "وكانت المراجع العلمية في العالم هي المراجع الإسلامية: في الطب أو الصيدلة أو الفلك أو الفيزياء والبصريات، أو الكيمياء أو الرياضيات، أو تقويم البلدان والجغرافيا... كالحاوي للرازي والقانون لابن سينا والكليات لابن رشد والتصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي"[27] لقد تفاعلت الحضارة الإسلامية مع العالم أخذاً وعطاءً فلم تنتج إلّا النافع للإنسانية أجمع ولم تغفل قيمها ومقاييسها الحضارية والتي استقتها عن دستورها الرباني المتمثل بالقرآن العظيم، الجوانب الإنسانية والأخلاقية "وفي ضَوءِ هذه القيم والمفاهيم تأسست النهضة العلمية الكبرى في رحاب الحضارة الإسلامية المتكاملة... ترجم المسلمون الأوائل كما كانوا يسمونهم من المشرق والمغرب، وخصوصاً: اليونان، الذين كان لهم باع طويل في الفلسفة، التي كانت تشمل شُعبها: الجوانب العلمية والرياضية والطبيعية، فاستفاد المسلمون منها، وهذّبوها وشرحوها وأضافوا إليها إضافات هامّة، بل ابتكروا علوماً جديدة، مثل علم الجبر، واكتشفوا المنهج الاستقرائي التجريبي الذي طبقوه عملياً في مختلف جوانب الحياة، والذي اقتبسه الغربيون منهم، وأقاموا على أساسه النهضة الغربية الحديثة"[28]، آمن المسلمون بأن العلم قيمة إنسانية كما دلهم على ذلك القرآن وأمرهم، وهم يتمثلون طيلة قرون نهضتهم وازدهار حضارتهم قوله تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}[29] أي: دعو إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر واستعملوا تفوقهم العلمي في

[26] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، حققه واعتنى به فؤاد أحمد زملي، درا الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م، 14/1.

[27] القرضاوي، د. يوسف، الإسلام حضارة الغد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.. ناشرون، بيروت ط1، 1421هـ - 2000م، ص165.

[28] الإسلام حضارة الغد ص164.

[29] سورة الحج الآية41.

ذلك[30]، ومن جملة المعروف نَشرُ الخير بين الناس كالعلم النافع وعدم احتكاره للتربح أو التعالي على بقية الأمم ويؤكد ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ"[31]، ويلاحظ أن الحديث لم يخصص ذلك بأمة أو إنسان أو فئة دون أخرى.

6- **العمل**، هو وسيلة إظهار معنى الاعتقاد والسلم والحرية الحقيقية والعدل الشامل وهو مناط السلام وغاية العلم وممهد السبل لحياة إنسانية أفضل، حيث الإنتاج وإعمار الأرض الذي هو من فرائض الإسلام، "وتتحول الأعمال العادية إلى فرائض مثل الصلوات المكتوبة إذا ارتبطت رسالة الأمة بها وتوقف نجاحها على التفوق فيها"[32]، لقد رسمت الحضارة القرآنية طريق نشر المعارف وحفْز المواهب بالحث على العمل الصالح وتأكيد فضله في نشوء الحضارات الإنسانية قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ}[33] "(العمل الصالح) يرفع الكلم الطيب إلى الله، والكناية في يرفعه ترجع إلى الكلم الطيب و.. الكلم الطيب هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان والتوحيد أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالكناية تعود على العمل الصالح"[34]، وتساوي حضارة القرآن بين العمل الدنيوي والأخروي وهو من وجوه الإعجاز المتنوعة في مجال القيم الحضارية في القرآن الكريم.. "والعمل الصالح: الخالص لوجه الله سواء أكان دنيوياً أم أخروياً؛ بل أنه لا فرق بينهما في الواقع لأن العمل الدنيوي متى ما أُريد به وجه ذى الجلال والإكرام فقد غدا أُخروياً... وكلاهما لازم في صنع الحضارة "[35].

ثانياً: وجوه الإعجاز في تفسير القيم الإنسانية المشتركة.

من المعلوم أن تفسير القيم في الإسلام هو تفسير رباني جاء به كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولقد أكد القرآن الكريم في غير موضع على فكرة نشوء معان وتفسيرات مختلفة للقيم الإنسانية

[30] ينظر تفسير الطبري 17/ 178.

[31] أخرجه أبن ماجة في سُننه برقم (266) المقدِمة باب من سُئل عن علم فكتمه، إبن ماجة، أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، (حديث صحيح) **سُنن إبن ماجة**، حكَّمَ على أحاديثِهِ وآثارِهِ وعلّق عَليَه العلاّمة المحدِّث ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، د.ت ص64.

[32] الغزالي، محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ - 2001م، ص151.

[33] سورة فاطر الآية10.

[34] تفسير القرطبي 33/14.

[35] قيم حضارية في القرآن الكريم عالم صنعهُ القرآن 183/1.

وحقيقة تطورها عند الأفراد والجماعات، وكذلك تعرضها للتغير والتبدل والتراجع والتقدم والتردد بين الإيجابية والسلبية وفق متغيرات الأزمنة والأمكنة وأمزجة الحكام أحياناً، لذا كان تفسير القيم مقصداً من مقاصد القرآن، قال تعالى: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[36]، وقال تعالى: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[37] "أي: يفرحون بما هم فيه من الضلال لأنهم يحسبون أنهم مهتدون"[38]، لذا فإن مبدأ تباين تفسير القيم الإنسانية هو مبدأ مصرح به في القرآن الكريم، وهنا يأتي دور معرفة وجوه الإعجاز في التفسير القرآني للقيم الإنسانية، لبيان دواعي ضرورة اعتماد التفسير الوارد في كتاب الله.

معرفة التفسير الأمثل للقيم الإنسانية: التحليل والنتائج

يعد التحليل والاستطلاع والمقارنة والبحث والتحري من وسائل معرفة واقع القيم الإنسانية، والتوصل إلى التفسير القويم لها، هذا من حيث العموم وأما عندنا كأمة معززة بكتاب الله الذي جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء، لا نجد أنفسنا بحاجة إلى ما تقدم لمعرفة التفسير الصحيح للقيم الإنسانية التي تجمعنا بجميع المنصفين والعُقلاء من بني البشر، ولا بموجبات اعتماد التفسير القرآني المعجز لهذه القيم، وبناءً على ذلك يمثل واقع قيم الخير اليوم حالة من الصراع المحتدم بينها وبين قوى الشر التي سعت وتسعى لتبديل وتحريف تفسير القيم الإنسانية السامية، رغم وجود المشترك وعناية الكثير من المفكرين والعقلاء والمنصفين من مختلف الحضارات والشعوب والأديان، بالبحث في هذا المشترك وتشخيصه والتعريف به.

وجوه الإعجاز الحضاري في هذه القيم إجمالاً

مما تقدم يتضح لنا أن للإعجاز الحضاري وجوهاً لا بد من تخصيصها بنقاط محددة بهدف تسليط الضوء عليها بما يكفي لضمان مشاهدتها من قبل ذوي العقول السليمة والنفوس الرضية والقلوب الحيّة، وهي كما يأتي:

أولاً: أنها جاءت منسجمة بعضها مع البعض الآخر بغير تعارض أو تقاطع، فشكلت منظومة قيمية حضارية بالغة التأثير في المسلمين ومن خالطهم من أبناء الحضارات الأخرى.

[36] سورة المؤمنون الآية 53.
[37] سورة الروم الآية 32.
[38] تفسير ابن كثير 248/3.

ثانياً: مثلت هذه المنظومة مجمل القيم الإنسانية التي تعجز عن جمعها وترتيبها أعظم مؤلفات العصور السابقة لزمن تنزل القرآن الكريم.

ثالثاً: لم تتفاوت تأثيرات هذه القيم على واقع البشرية ولم تغفل حضارة القرآن ركناً من أركان القيم الإنسانية السمحة، وهو سر انسجامها وتشكيلها منظومة موحدة تعمل بدقة إعجازية تفوق أكثر البرامج التقنية حبكة وإبداعا وتطوراً.

رابعاً: شمولية هذه القيم وفق تفسيراتها القرآنية المنضبطة للأزمنة والأمكنة والفئات العمرية والاجتماعية المختلفة.

خامسا: قدّم القرآن الكريم هذه القيم بوصفها فرائض، وصاغها على هيئة أحكام تمثل في حال جمعها ودراستها بصورة تخصصية منفصلة، منظومة كاملة للقيم الإنسانية العامّة.

أمثلة قرآنية تطبيقية عن الإعجاز الحضاري وفق ما حمله لنا القرآن الكريم

تبين لنا الأمثلة التالية، أثر القيم في سلوك الأمم والشعوب والحضارات كما نصَّ عليه القرآن الكريم؛ وحدده بوصفهِ سياقاً موحَّداً يُفصِّل لنا مفهوم وأهمية منظومة القيم الإنسانية في حياة تلك الأمم والحضارات، ولبيان ذلك نأخذ بعض الأمثلة على أثر القيم وما تضمنته من إعجاز بحسب العرض القرآني لها.

1- قصة نبي الله داود عليه السلام.

قال تعالى: {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأرض وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}[39] "{ولولا دفع الله الناس بعضهم} الذين يباشرون الشر والفساد، ببعض آخر منهم بردهم عمّا هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية، أو غيره وقرئ: دفاع الله، على أن صيغة المبالغة، للمبالغة، {لفسدت الأرض} وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض ويصلحها، وقيل: لولا أن الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بعيثهم وقتلهم المسلمين، أو لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر، ونزلت السخطة، فاستؤصل أهل الأرض قاطبة، ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة، وهذا إشارة إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدَم مُنتِجٌ لنقيض التالي، خلا أنه قد

[39] سورة البقرة 251.

وضع ما يستتبعه ويستوجبه، أعنى: كونه تعالى ذا فضل على العالمين إيذانا بأنه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير أن يجب عليه ذلك وأن فضله تعالى غير منحصر فيه، بل هو فرد من أفراد فضله العظيم، كأنه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الأرض وتنتظم به مصالح العالم وتنصلح أحوال الأمم"[40]، إن القيم الإنسانية بوصفها نظاماً ضابطاً لحركة الأمم والشعوب وعاملاً أساس في تحجيم سلبيات سُنة التدافع بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب تؤدي دوراً آخر لا يقل أهمية عن دور ضبط تلكم الحركة وهو دور بيان مقاصد السُننية، التي يدير به الله تعالى هذا الكون، ويكشف لنا هذا المثال عن مجموعة قيم تتشكل منها سنة التدافع وهي الاعتقاد والعدل والسلام، فالله تعالى هو الذي يقدّر الأقدار بمشيئته، وأن من عدله أن أيد الحق ضد الباطل لفرض قيمة السِلم على المعاندين والطغاة.

2- قصة نبي الله سليمان عليه السلام.

تبين لنا قصة النبي سليمان عليه السلام مكانة القيم الإنسانية عندما تصبح الحضارة الربانية هي المسيطرة، حيث تصبح العلاقات السلمية هي سمةُ العلاقات الإنسانية على اختلاف مستوياتها، وهذه السمة لا تأخذ بالظهور إلا عندما تكون للحق شوكة وقوة يستند إليها في نشر رؤيتهِ وفرضها على المعتدين إن لزم الأمر، وهذا الفرضُ لا يمكن وصفه بأنه من الهيمنة المذمومة ما دام يعتمد الحوار أولاً وما دامت أحكامهُ عادلة وواضحة ومنصفة ولا تميز بين إنسانٍ وآخر، والتاريخ مليء بالشواهد التي تبين أثر الحق عندما يتمثل في دولةٍ تعرفه وتؤمن بهِ وتطبقه منهجاً وسلوكاً يلتزم به الحاكم والمحكوم على السواء، "توسعت الدولة اليهودية في عهد الملك سليمان، واستتب الأمن، وجلب له الملوك والحكام الهدايا والهبات، ويعدُّ عصر سليمان – عليه السلام- أزهى عصور التاريخ اليهودي على الإطلاق، واهتم الملك سليمان بالعمران ولذلك أقام علاقات سلمية مع جيرانه ليتمكن من إنجاز مشاريعه بهدوء وسلام، ونشطت الحركة التجارية في اتجاه الشمال إلى صور، حيث الأرز وإلى الجنوب حيث الأطايب ولم يكن سكان الجنوب سوى العرب"[41] .

تصويب تاريخي بدلالة القرآن

نظراً لما يمس قيمتي العدل والسلم في هذا العرض أو الخطأ توصيفي إن جاز لنا تسميته كذلك؛ يجدر بنا الوقوف عند فقرة وردت في عرض صاحب كتاب (العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء

[40] تفسير أبي السعود 1/ 245.

[41] درادكة، د. صالح موسى، رئيس قسم التاريخ في الجامعة الأردنية، **العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين**، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1412هـ - 1992م، ص68.

الراشدين) بقوله "واهتم الملك سليمان بالعمران ولذلك أقام علاقات سلمية مع جيرانه ليتمكن من إنجاز مشاريعه بهدوء وسلام، " حيث إنَّ القرآن الكريم يصف لنا عَظَمَة مُلك سليمان بما مَنَّ الله تعالى عليه بهِ من نعمٍ ومعجزات، وهو الذي جاءت له ملكةٌ من اليمن تقدم الهدايا وتعلن إسلامها بحسب ما نقله لنا القرآن الكريم، فلو كان سليمان عليه السلام كما تصفه هذه العبارة لما شكّل بالضرورة تهديداً يأتي له من جرّائه الملوك طائعين، وكذلك فقد تجلت قيم العدل والحق والحرية في حواره عليه السلام مع الهدد وقبلها في سؤاله عنه في قوله تعالى: فقبل تهديد سليمان ووعيده للهدهد مباشرة كان قد بدا للقارئ من حكمته ورجاحة عقله ما دلل عليه نسبته عدم رؤية الهدهد إلى نفسه والذي ورد في قوله تعالى:{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ }[42] ولم يتسرع بقوله أين الهُدهُد أو لِمَ كان من الغائبين، وهذا ما يفسر تكافؤ الحوار عند انعقاده لأن أنبياء الله أولى من غيرهم باستحضار القيم الإنسانية في تعاملهم مع من وما حولهم، هذا مع ما كان يستطيع سليمان عليه السلام فعله، لكن حكمة سليمان قد تجلت في إدراكه لمعنى أن التكافؤ هو ما يجعل الحوار يصدر عن فائدة ملموسة فنسب احتمال التقصير إلى نفسهِ أولا بقوله {مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ}.

وتتجلى قيم الحرية والعدل أكثر...

ثم جاء الهُدهد كما في القصة التي يكملها لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}[43] ثم يقول: {قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إليهمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فإنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ}[44]" والضمير في مكث يحتمل أن يكون لسليمان والمعنى بقي سليمان بعد التفقد والوعيد غير طويل أي: غير وقت طويل ويحتمل أن يكون للهدهد وهو الأكثر، فجاء فقال أحطتُ بما لم تحط به"[45]، إنه حوارٌ صريح ومتكافئ، وليس الخوف من نصيب الطرف المهدَّد كما قد يتصور البعض.

3- من سيرة نبينا محمد ﷺ

[42] سورة النمل الآية 20.
[43] سورة النمل الآية 22 – 23.
[44] سورة النمل الآية 27 – 28.
[45] تفسير القرطبي 180/13.

مثلت القيم الإنسانية في سيرته الشريفة ﷺ محوراً أساساً حيث العدل والعلم والحق والسلم وهدف كل ذلك صيانة عقيدة التوحيد وكذلك صون حياة الأمة المسلمة النامية في ظلال القرآن حيث المحاجَّة بالبراهين الواضحة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }[46] "هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى، ولهذا قال وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"[47] ، إن هذا الأسلوب هو من مؤثرات منظومة القيم الإنسانية العامّة التي أقرها وبيّنها القرآن الكريم

وهذا قد يفضي إلى المواجهة.. والموجهة هنا هو مفهوم شامل لكل ما يقع من شرٍ بين المسلمين وغيرهم ولبيان هذا المفهوم نجملُ بعضاً من النصوص القرآنية التي تبين حقيقته بوضوح، إن من يتهم المسلمين بالعدوان ومبادرة الآخرين به؛ لم يقرأ ربما ويدقق في دستور هذه الحضارة، فقد نهى القرآن عن العدوان حتى في حالة الدفاع عن النفس ورد العدوان بمثله، قال تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ }[48] "أي قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم" [49]. فالعدوان مفهوم مرفوض ولا مكان له في الإسلام مهما كانت المبررات، إنه الرُقي الحضاري في أجلى صوره وأبهاها، يحدث أصحاب حضارته أن العدوان لا يمكن أن يكون مُبرَرَاً حتى لرد المعتدي، إنما الواجب يتمثل في درء هذا العدوان بمثله، أما عن الدفاع عن النفس أصلاً فقال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ }[50]، وهو حدٌ واضح فمقاتلة من أخرج المسلم من داره وصادر حقوقه وحرياته، واعتدى على أمنه وحرماته لأي سبب من الأسباب كان، لاسيما العقائدي منها، فقد كفلت جميع الأديان والشرائع حقه في الدفاع عن وجوده وعن عقيدته ضد من اعتدى عليه.

[46] سورة سبأ الآية 24.
[47] تفسير ابن كثير 3/ 539.
[48] سورة البقرة الآية190.
[49] تفسير القرطبي 348/2.
[50] سورة الحج الآية 39.

ولو تأملنا سيرة النبي محمدﷺ لتبين لنا أنه لم يكره أحداً على دينه قط، ذلك لأن منهجه هو تعبير دقيق عن منظومة القيم التي بيّنها القرآن وما اشتملت عليه من إعجاز في النظم البلاغي والتأثير العملي، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، ومن ذلك قوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[51] وإنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هدنته لم ينقض عهده، بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له، وقد أوصى ﷺ هو بدوره، أمته الوفاء بالوعد والعهد إذا سالموا وعاهدوا.

بذلك يتضح لنا أثر الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم من طريق القيم الإنسانية التي نظمها وطورها وهذبها كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من حلفهِ.

[51] سورة البقرة الآية 256.

المبحث الثاني: تفسير القيم وضوابط الفهم السليم في الاستقرار والأمن العالميين

أولاً: تفسير القيم وعلاقتها بالأمن

بعد أن عرضنا إلى تفسير القيم الإنسانية من منظور القرآن الكريم لبيان الجوانب الإعجازية في تلك القيم، نأتي للحديث عن علاقة منظومة القيم الإنسانية بالأمن والاستقرار العالميين.

لقد أسهم التفسير الخاطئ للقيم الإنسانية من قبل بعض الأمم والشعوب في إحداث خلل واضح بمنظومة الأمن والسلام العالميين وقد سوّغ ذلك وجود آلاف التفاسير المتشابكة والبراقة للقيم الإنسانية لكنها لم تعود – بدليل واقع السلم والأمن العالميين اليوم– إلا بأخطر النتائج لذا فإن العالم المتقدم مادياً لن "ينعم طويلاً بهذه التمكين الزائف والزائل الذي يتمتع به اليوم على حساب أنّات ملايين السُجناء ومليارات الجياع والمستضعفين، ودموع عشرات الملايين من الأيتام والأرامل والثكالى، ولن يكون تقهقر اقتصاد الغرب الذي أُسس على مبادئ مغلوطة كالندرة والاحتكار والربا التي كانت نتاجاً طبيعياً لتفسيرات منحرفة للقيم الإنسانية؛ وإعلان الهزيمة أمام الاقتصاد الإسلامي، سوى بداية انهيار عالمٍ بُني على الظلم والقهر والاستعباد، بعد أن فسَّر القيم بما يناسب قناعاته وأهوائه الجانحة[52]"

إشكالية اختلال منظومة القيم وخطرها على الأمن والسِلم

يعد عموم البلوى من سنن الكون التي نادراً ما تتعطل لأسباب تقتضيها حكمة الله تعالى وقد ورد الحديث عنها في قوله عزَّ وجلَّ: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[53]، "الفتنة : البلاء والاختبار، أي: اتقوا وقوع الفتن التي لا تختص إصابتها بمن يباشرها وحده، بل تعمه وغيره كالفتن القومية التي تقع بين الأمم في التنازع على المصالح العامة من الملك والسيادة أو التفرق في الدين والشريعة والانقسام إلى الأحزاب الدينية والأحزاب السياسية، ونحو ذلك من ظهور البدع والتكاسل في

[52] واقع القيم الإنسانية ومستقبلها وفق حقائق القرآن الكريم، ص 24.

[53] سورة الأنفال الآية 25.

الجهاد وإقرار المنكر الذي يقع بين أظهرهم والمداهنة في الأمر بالمعروف ونحو ذلك من الذنوب التي جرت سُنّة الله بأن تعاقب عليها الأمم في الدنيا قبل الآخرة "[54].

إن لاستقامة وسلامة منظومة القيم الإنسانية بعد ما تم عرضه من حقائق ومعطيات من الأثر في الأمن والسلم الدوليين ما لا يمكن تجاهُلهُ، والفتن التي تُصَبُّ على عالمنا اليوم كالماء المنهَمِر خيرُ دليلٍ على حاجة هذا العالم لمعرفة وافية بما اشتملت عليه القيم وفق منظورها القرآن من أحكام معجز وتوجيه حقيقي يَفصِلُ الحق عن الباطل ويعطي لطالب الحقيقة تصوراً وافياً عن التفسير ألإعجازي الذي من شأنه إنقاذ المجتمع الإنساني، ويرسم لمستقبل العالم صورة أفضل من هذه الصورة المعتِمة، والفتن لا يمكن وكما هو مشاهدٌ اليوم أن يدرأها عن نفسهِ من يدعي الحيادية أو العُزلة عن أحداث هذا العالم هذا على افتراض إمكانهما، إن هذا التنازع والتصارع اللذان أصبحا سمةً غالبة لسياسات المجتمعات الإنسانية تجاه بعضها البعض تُنذِرُ بخطر أقل ما يوصف به هو أنه مدمر بكل المقاييس.

ثانياً: ضوابط الفهم السليم وأثرها في استقرار الأمن والسلم العالميين

وذلك يتأتى عن الطريق الآتي:

1- استلهام معاني الوحي وعدم تجاوزها لأغراض دنيوية مادّية.

2- عدم تعارض تفسيرات القيم مع بعضها البعض.

3- ضمان مبدأ العدالة بين جميع أمم وشعوب الأرض.

4- وضع قواعد الفهم السليم بما ينسجم مع المقبول عند غالبية البشر.

إن الناظر إلى خصائص الحضارة القرآنية ليجد أصداء ومعاني تلك الضوابط في أبعاد ومضامين تلك الخصائص، حيث يأتي وصفها بأن مصدرها هو القرآن الكريم أول تلك الخصائص، وأنها توازن بين الاحتياجات الروحية والمادية وبين متطلبات الحياة الدنيوية والحياة الأخروية، مع خاصية التجديد والمرونة والقطعية في الأحكام والحدود الأساسية وتحقيق غاية الإرشاد والهداية للبشرية أجمع من غير تمييز أو تفريق[55]،

[54] المراغي، أ. أحمد مصطفى ت 1945م ، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط3، 1382هـ - 1963م، 9/188-189.

[55] ينظر قيم حضارية في القرآن الكريم عالم صنعهُ القرآن 2/68 – 74.

وهو في جميع ما تقدم يوظف هذه الخصائص للعمل والتفاعل ضمن منظومة القيم الحضارية التي تضمنها القرآن الكريم ورتب أولوياتها.

أما عن ضوابط الفهم السليم للقيم الإنسانية وتوجيه تأثيرها لخدمة الأمن والسلم العالميين فإن ذلك من العسير تحقيقه إلا عن الطريق الآتي:

1- توحيد تفسير القيم الإنسانية لدى الأديان السماوية، ثم تنسيق نتائج هذه الجهود مع ما يتوافق عند الديانات غير السماوية.

2- ربط تفسير القيم الإنسانية المشتركة بالمنطقي والمعقول عند عامة البشر ولو عبر استبيانات عالمية تخصص لهذا الغرض.

3- التطبيق العملي لمعاني القيم الإنسانية وتحقيق مضامينها في السلوك الواقعي بواسطة تفعيل برامج دولية ترعاها الحكومات والمنظمات الدولية والمحلية، تعمل على غرس تلك القيم بتفسيراتها المستقيمة، في نفوس المجتمعات الإنسانية.

الخاتمة

ليس من الجديد القول بأن للقيم الإنسانية المشتركة أثراً كبيرا في حياة الأمم والشعوب يحفظ لها أمنها وعيشها بحرية وكرامة واستقرار، لكن التركيز على أثر الإعجاز في تفعيل وتبني القيم التي حمل مضامينها كتاب الله عزَّ وجلَّ، هو ما يستوجب مزيداً من النظر من قبل المتخصصين من الباحثين والدارسين في هذا المجال، ولقد حاول الباحثان من خلال هذه الدراسة تقديم نموذج مختصر لهذا الأثر – مراعاةً لضوابط الأبحاث التي وضعت من قبل إدارة المؤتمر الموقرة، ومنها حجم البحوث المرشحة للمشاركة– عن ضرورة تبني دراسات موسعة تعنى بوجوه الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم وخصوصاً في باب القيم الإنسانية التي باتت تؤثر بصورة مباشرة في حياة الأفراد والمجتمعات الإنسانية على حدٍ سواء.

ولقد توصلت الدراسة إلى وجود تأثير إعجازي واضح لتفسير القرآن الكريم للقيم الإنسانية على مجمل تصورات الحضارة الإسلامية لمعاني ودلائل القيم الإنسانية، وكذلك فقد أثبتت الدراسة وجود منظومة قيمية واضحة وكاملة تستوجب الدراسة والبحث بهدف الإفادة منها في وضع تصور إسلامي معاصر عن حقيقة وتكاملية القيم الإنسانية في القرآن الكريم وفق تعبيرات وحاجة العصر، وكذلك البحث في المزيد من الوجوه الإعجازية لهذه القيم، لإظهار أحقيتها بالاتباع من قبل المسلمين وكذلك اعتمادها مصدراً أساسا لتفسير القيم الإنسانية العامّة من قبل غير المسلمين.

التوصيات

توصل البحث إلى أهم النتائج وهي:

1- تبني الجامعات والمراكز البحثية الكبرى في العالم جهود وضع مقدمات علمية لبرامج فاعلة وبناءة بهدف وضع تفسير واضح متفق عليه للقيم الإنسانية المشتركة.

2- وضع قواعد منطقية متفق عليها بين الأمم والشعوب والحضارات، لتطبيقات القيم الإنسانية العامّة يشترك في صياغتها ممثلين عن جميع شعوب العالم ممن يقبل الدعوة للاشتراك في هذه البرامج.

3- تعديل القوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدولية بما ينسجم وتفسيرات القيم الإنسانية المتفق عليها.

4- دعم تطبيق برامج دولية مكثفة للتعريف بتفسيرات القيم الإنسانية المتفق عليها لمعالجة الثقافات المتناقضة لهذه التفسيرات لدى أمم العالم، وشعوبها وأفرادها.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ت 774هـ، مكتبة زهران، مصر، ط1، د.ت.
- ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، سُنن إبن ماجة، حكَّمَ على أحاديثهِ وآثارهِ وعلّق عَليَه العلاّمة المحدِّث ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، د.ت.
- أبو السعود، محمد بن العمادي، المتوفى سنة951هـ تفسير أبي السعود المسمى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1414هـ - 1994م.
- الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق : على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ
- البوطي، د. محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر المعاصر، بيروت دار الفكر سورية ط1، 1998م، ط7، 1426هـ - 2005م.
- درادكة، د. صالح موسى، العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1412هـ - 1992م.

- زيدان، د.عبد الكريم، الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت ط1، 1427هـ - 2006م.
- سبع، توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم، عالم صنعةُ القرآن، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2 د.ت.
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (310 هـ) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاه، القاهرة، ط3، 1968م.
- الغزالي، محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ - 2001م.
- القاسمي، محمد جمال الدين ت1332هـ ، تفسير القاسمي، المسمى، محاسن التأويل، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرّج آياته وأحاديثه، وعلق عليه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1376هـ - 1957م.
- القرضاوي، د. يوسف، الإسلام حضارة الغد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.. ناشرون، بيروت ط1، 1421هـ - 2000م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت671هـ، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1387هـ - 1967م.
- المراغي، أ. أحمد مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط3، 1382هـ - 1963م.
- هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل بيروت – دار الآمال الجديد بيروت، لبنان، ط8، 1413هـ - 1993م.